المحاضرة الأولى: في مفهوم فلسفة الأخلاق وإشكالياتها التأسيسية

(الجزء الرابع)

علي كريم

رابعا: الأخلاق والعلوم المجاورة (حدود التماس والتمايز)

لضبط "مفهوم" فلسفة الأخلاق بدقة، يجب تمييزها عما يشبهها من نظم ضبط السلوك والدراسات الإنسانية، خصوصاً في ظل الخلط الشائع في الدراسات البينية.

بين "علم النفس الأخلاقي" و "فلسفة الأخلاق"

هذا التمييز هو "شرط إمكان" لفهم طبيعة البحث الأخلاقي المعاصر. كثيراً ما يخلط الباحثون بين "ما يحدث" في النفس وبين "ما يجب" أن يحدث[41].

- **علم النفس الأخلاقي :(Moral Psychology)** هو علم **وصفي وتجريبي** .(Descriptive/Empirical) يدرس الآليات المعرفية والعصبية والاجتماعية التي تجعل الناس يصدرون أحكاماً أخلاقية. إنه يسأل :كيف يتطور الضمير عند الطفل؟ (بياجيه، كولبرج) .*ما* هي المناطق الدماغية التي تنشط عند اتخاذ قرار أخلاقي؟ (جوشوا غرين). إنه يخبرنا عن "الواقع" النفسي كما هو، دون أن يقرر صحته أو خطأه[43].

- **فلسفة الأخلاق :(Moral Philosophy)** هي علم **معياري** .(Normative) لا يهمها بيولوجياً كيف فكرت في الكذب، بل يهمها "تبرير" لماذا يعتبر الكذب خطأً. الفيلسوف قد يستفيد من علم النفس، لكنه لا يتوقف عند "الوصف"، بل يتجاوزه إلى "التشريع" العقلي أو القيمي[41].

مثال توضيحي :علم النفس يخبرنا أن "معظم الناس يميلون للانتقام عند الغضب". فلسفة الأخلاق تقول: "يجب كبح هذا الميل لأن العدالة تقتضي عدم الانتقام الفردي". الفجوة بينهما هي الفجوة بين الواقع والمثال.

الأخلاق والقانون (Law and Ethics)

رغم التداخل الكبير (فالقتل والسرقة جرائم قانونية ورذائل أخلاقية)، إلا أن الفروق جوهرية:[47]

جدول (3): الفروق الجوهرية بين الأخلاق والقانون

وجه المقارنة	القانون (Law)	الأخلاق (Ethics)
المصدر	سلطة تشريعية خارجية (دولة، برلمان)	سلطة داخلية (ضمير، عقل) أو دينية
الجزاء	مادي (سجن، غرامة)، دنيوي، محدد	معنوي (تأنيب ضمير، استهجان)، أو أخروي
النطاق	يحكم السلوك الظاهر (External Conduct)	يحكم الباطن والنوايا (Intentions) والظاهر
الحد	يمثل "الحد الأدنى" اللازم للنظام العام	تمثل "المثل الأعلى" والكمال الإنساني

الأخلاق (Ethics)	القانون (Law)	وجه المقارنة
مبادئ وقيم قد تكون غير مكتوبة	نصوص ومواد مكتوبة ومقننة	**التدوين**

47

علم الاجتماع والأخلاق

علم الاجتماع (مع دوركايم وليفي بريل) يدرس الأخلاق كـ "فيزياء اجتماعية"؛ أي كظواهر قابلة للملاحظة والقياس. إنه يدرس "أخلاق" قبيلة معينة كما يدرس طقوس زواجهم، دون أن يحكم عليها بالصواب أو الخطأ (دراسة وصفية تقريرية) [43].أما الفيلسوف الأخلاقي فيبحث عن "الكونية" في هذه الأخلاق، وينقد النسبية الاجتماعية التي قد تبرر الظلم باسم العرف.

محاضرات فلسفة الأخلاق